﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس: 64]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الإفصاحُ عن ثوابِ الأولياءِ الكبيرِ، بعد بيانِ حالِهم الأثيرِ

لَمَّا نفى اللّه ﷻ عن أوليائه الخوفَ والحُزنَ، زادهم فقال مُبَيِّنًا لتولّيه لهم بعد أن شرح تولّيهم له: فقال: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾[1]، فذكر سُبحانه ما ينالُ أولياءَ اللّه تعالى مِن خير في الدُّنيا والآخرة[2]، وسوف "يتحقَّق وعدُ اللّه، ولا خُلفَ لما وَعَد اللّه به، وهذا الَّذي بُشِّروا به في الدُّنيا، وظَفروا به في الآخرة هو الفوزُ العظيمُ"[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾: أصلُ البِشْر - بالكسر - الطَّلاقةُ والبَشاشةُ وبَسطُ الوجه: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١﴾ [الصّافات: 101]، ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ﴾ [فصلت: 30]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ﴾ [الأعراف: 57]، ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [البقرة: 119][4]، والبُشْرى: ما يُعْطَاه المُبشَّر مِنَ الأمر، والجمعُ: بُشَر[5]، وهو الخبرُ الَّذي يُغيِّر البَشَرةَ مِن حُزْنٍ أو سُرورٍ، ثمَّ خُصَّ في عُرْفِ اللُّغة بالسُّرور، ولا تكونُ إلَّا بالخبر الأوَّل[6]، فيُقالُ: أبْشَرْتُ الرَّجُلَ، وبَشَّرْتُهُ، أي: أخْبَرْتُهُ بِأمْرٍ سارٍّ[7]، وسُمِّيَتْ بذلك مِنَ البِشْرِ، وهو السُّرورُ؛ لأنَّها

(1) البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور: 9/154.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3605.
(3) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم: 1/297.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بشر).
(5) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 1/238، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (بشر).
(6) النّووي، تحرير ألفاظ التّنبيه، ص: 267، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 11/184.
(7) ابن الأنباريّ، الزّاهر في معاني كلمات النّاس: 2/128، والعَوْتَبيّ، الإبانة في اللّغة العربيّة: 2/280.

تُظْهِرُ طَلاقَةَ وَجْهِ الإنسانِ وفرَحَهُ، والمقصودُ بالبشرى في الآية: الخبرُ السَّارُّ المُفرِحُ الَّذي يُظهِرُ البشاشةَ على الوجه.

2) ﴿لَا تَبْدِيلَ﴾: التَّبديلُ: مصدرُ بدَّل، وأصلُه قيَامُ الشَّيءِ مَقامَ الشَّيءِ الذَّاهِبِ. يُقالُ: هذا بدلُ الشَّيءِ وبَدِيلُهُ[1]، وحقيقتُه: أن تُغيِّر الصُّورةُ إلى صُورة أُخرى، والتَّبديل قد يُقال للتَّغيير مُطلقًا، وإن لم يؤتَ ببدَله، قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾ [البقرة: 59]، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ﴾ [النُّور: 55] وقال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ [الفرقان: 70]، قيل: أن يعمَلوا أعمالًا صالحةً تُبطلُ ما قدَّموه مِنَ الإساءة، وقيل: هو أن يعفوَ تعالى عن سيئاتِهم ويَحتسِبَ بحسناتِهم[2]، والمقصودُ في الآية: هو انتفاءُ جنس التَّبديل.

3) ﴿لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾: الكلمةُ: الواحدة مِنَ الكَلِم والكَلام، كلَّمته تكليمًا، وتكلَّمتُ تكلُّمًا. وذكر أبو زيدٍ أنَّ العرب تقول: الرَّجلان لا يَتَكالَمَانِ، في معنى لا يتكلَّمان[3]، وأصلُ اشتقاقِ الكلام مِنَ الكَلِم، وهو التَّأثير المُدرَكُ بإحدى الحاسَّتين، فالكلامُ: مُدرَكٌ بحاسَّة السَّمع، والكَلْمُ: بحاسَّة البَصَر[4]، وكَلَمتُه: جرحتُه جراحةً بَانَ تأثيرُها، و﴿تُكَلِّمُهُمۡ﴾ [النَّمل: 82]، أي: تَسِمُهم[5]، والكَلِمَةُ تَقَعُ على الحرف الواحد مِن حروفِ الهجَاءِ، وتقعُ على لفظةٍ مُؤلَّفةٍ مِن جماعةِ حُروفٍ ذاتِ مَعْنًى، وتقعُ على قَصيدةٍ بكمالِها وخُطبةٍ بأسرها[6]، والمقصودُ بـ ﴿لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ في الآية: الأقوالُ الَّتي أوحَى اللّه تعالى بها إلى الرَّسُولِ ﷺ في الوَعْدِ المُشَارِ إليه في الآية.

4) ﴿ٱلۡفَوۡزُ﴾: أصلُ الفَوْزِ هو النَّجاةُ ممَّا يُحذَرُ، والظَّفَرُ بما يُؤمَّلُ مع حُصُول السَّلامة[7]، يُقال: فَازَ يَفُوزُ، إذا نَجا، وهو فائزٌ. وفاز بالأمرِ، إذا ذَهبَ بِهِ وخَلَصَ[8]، ويُقالُ لِمَنْ ظَفِرَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بدل)، ونشوان الحميريّ، شمس العلوم: 1/460.
(2) الرّاغب، المفردات: (بدل).
(3) ابن دريد الأزدي، جمهرة اللّغة: (كلم).
(4) الرّاغب، المفردات، والسَّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (كلم)، والبيضاويّ، أنوار التنّزيل: 1/73، والمناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعريف، ص: 283.
(5) ابن سلّام، تفسير يحيى بن سلّام: 2/568، وابن جنّي، المحتسب: 2/189 بلا نسبة.
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديّ، تاج العروس: (كلم)، والنّوويّ، تهذيب الأسماء: 4/118.
(7) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/454.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فوز).

بخيرٍ وذهب بِهِ. قال الله تعالى: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ﴾ [آل عمران: 185]. وسُمِّيَتِ الأرضُ القَفْرُ البَعِيدَةُ المَخُوفُ مِنَ الهلاكِ فيها مَفازةً على سبيل التَّفاؤُل؛ لأنَّ مَن قطَعها فازَ[1]، والمقصودُ بالفَوزِ في الآية: النَّجاةُ وما يلزمُها منَ التَّنعم بنِعَم الجنَّةِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ضـمـانُ الـلـه تعالى لأوليائِه ألَّا يَحـلَّ بهم خـوفٌ مُحدِقٌ، ولا حُزنٌ مُقلِقٌ

أخبرتِ الآيةُ عن تحقُّقِ البُشرى في وجوه أولياءِ الله ﷺ، في زمانَيْن اثنين؛ الأوَّلُ: في الدُّنيا وذلك بما يكون لهم مِنَ الصَّفاء والبهاء والتَّعلُّقِ بالله تعالى، وبما يوفَّقون إليه منَ الطَّاعات والأعمالِ الصَّالحاتِ، وهذه البشرى مقدِّمةٌ للبُشرى الثّانيةِ بُشرى الآخرةِ، وذلك بدخول الجنَّة، وهذا الوعدُ لا تبديلَ له؛ فإنَّه وعدٌ كريمٌ من ربٍّ كريم، فإذا نال المسلمُ الولايةَ، وكان عبدًا مطيعًا لله تعالى، عاملًا بما أوجب عليه، فإنَّه مشمولٌ بهذا الوعدِ الأكيدِ، ثمَّ أصدرتِ الآيةُ حُكمًا ترغيبيًّا تحفيزيًّا لِمَنْ كان هذا حالُه، بالاتِّصاف بالفوز العظيم؛ لتحصل الطُّمأنينةَ، ويسكنَ القلبُ إلى مولاه.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلالةُ الاستئنافِ في: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾:

بيـانُ مـا أعطَى الله أولياءَه من خـيـراتٍ، ومـا حَباهُم من أمنٍ وثباتٍ

قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: بيانٌ لِما أوْلاهُم مِن خيرات الدَّارَين، بعد بيان إنْجَائِهم مِن شرور الخوف والحُزْنِ ومكارِهِما، والجملةُ مُستأنفةٌ كأنَّه قيل: هل لهم وراءَ ذلك مِن نعمةٍ وكرامةٍ؟ فقيل: لهم ما يَسُرُّهم في الدَّارين مِنَ البشرى[2]؛ وهو مع ذلك استئنافٌ جيءَ به في موضع التَّعليلِ لنفْيِ حُزنهم والخوفِ عليهم[3].

(1) الميدانيّ، مجمع الأمثال: 2/390، وأبو حيّان، البحر المحيط: 3/454.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/160، والبروسويّ، روح البيان: 4/60.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 6/142.

سرُّ تقديمِ الجارِّ والمجرور:

﴿لَهُمُ﴾ في قولِه تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾: بمعنى خاصَّةً[1]، والضَّميرُ يعودُ على أولياء اللّه، والبُشرى هي التَّبشيرُ بما يُلقي السُّرورَ في أنفسهم، وقد حكمَ اللّه تعالى لهم بالبُشرى في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة، وذلك وَعْدٌ حَقٌّ، ولذا قال سُبحانه: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾[2]، فقولُه تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ جاء على سبيل الحصْرِ والتَّخصيص[3]، وكلُّ وليٍّ تقرَّبَ إلى اللّه تنالُه البشارةُ المنوَّهُ بها في هذه الآية؛ باجتهادِه في النَّوافل والصَّلواتِ، ومبادرتِه إلى الخيرات والمبرَّاتِ، رغبةً في الأجر، وطمعًا في الجنَّة، "وهذا معناه أنَّ مثلَ هذا العبد قد دخلَ في مقام الوُدِّ مع اللّه تعالى، وهنا يُفيضُ اللّه ﷻ عليه بما يشاء"[4]، وسوف ينالُ مِن رضوان اللّه الأكبرِ، وعطائه الأوفرِ، ما يكون له قرَّةَ عينٍ في مثواه عند اللّه.

تخصيصُهم بالبشارةِ المُتحقِّقةِ في العاجلةِ والآجلةِ

فائدةُ اصطفاءِ ﴿ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ ودَلالتُه:

اصطفى النَّظمُ الكريمُ كلمةَ ﴿ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ زيادةً في التَّكريم والتَّشريف لهم، والبُشرى والبِشارةُ: الخَبَرُ السَّارّ، وهو أخَصُّ مِنَ الخبر، وسُمِّي بذلك لأنَّ أثرَه يظهرُ على البَشَرَةِ، وهي ظاهر جِلدِ الإنسان، فيجعلُه مُتهلِّلَ الوجه، مُنبسطَ الأسارير، مُبتهجَ النَّفس، أي: لهم ما يسرُّهم ويُسعدُهم في الدُّنيا مِن حياةٍ آمنةٍ طيِّبةٍ، ولهم أيضًا في الآخرة ما يَسُرُّهم مِن فوزٍ برضوان اللّه، ومِن دخول جنَّته[5].

مَلمحُ التَّشريفِ والتَّكريمِ بالخبرِ السَّارِّ السَّعيدِ لأوليائِه

غرَضُ الإبهامِ والإجمالِ في: ﴿ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾:

إيثارُ الإبهام والإجمالِ في لفظة ﴿ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ

لفظُ البشرَى بين الإجمالِ في هذه الآية، والتَّفصيلِ في غيرِها

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/154.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 7/3605.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/277.
(4) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 11/69.
(5) طنطاوي، التَّفسير الوسيط: 7/96.

﴿ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ للإيذان بكونِها وراءَ البيان والتَّفصيلِ[1]، أو لكونِها مُبَيَّنةً في مواضِعَ مِن كتابِ الله تعالى[2]؛ فالبشارةُ في الدُّنيا، هي: الثَّناءُ الحسنُ، والمودَّةُ في قلوب المؤمنين، والرُّؤيا الصَّالحةُ، وما يراه العبدُ من لُطفِ الله به، وتيسيرِه لأحسن الآمالِ والأخلاق، وصرْفِه عن مساوئ الأخلاقِ، وأمَّا في الآخرة، فأوَّلُها، البِشارةُ عند قبض أرواحِهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ [فُصّلت: 30]، وفي القبر، ما يُبَشَّر به من رضا الله تعالى، والنَّعيم المقيم، وفي الآخرة تمامُ البُشرى، بدخول جنَّات النَّعيم، والنَّجاةِ مِنَ العذاب الأليم[3].

دَلالةُ تعريفِ بـ(أل) في: ﴿ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾:

﴿ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: الكاملةُ[4]، وتعريف بُشرى تعريفُ الجنس، فهو صادقٌ ببشاراتٍ كثيرةٍ[5]؛ وقد يُرادُ بها متعَلَّقُها الَّذي يُبَشَّرون به، ولم يُذكر هنا؛ ليشملَ كلَّ ما بُشِّروا به في كتابِ الله تعالى، وعلى لسانِ رَسولِه ﷺ، فأمَّا البُشرَى في الحياةِ الدُّنيا، فأهمُّها البِشارةُ بالنَّصرِ، وبحُسنِ العاقِبةِ في كلِّ أمرٍ، وباستخلافِهم في الأرضِ ما أقاموا شَرعَ الله وسُننَه، ونَصَروا دينَه، وأعلَوا كَلِمتَه، وأمَّا في الآخرةِ فمِن أكمَلِها وأجمَعِها لمعاني الآيةِ لأكمَلِهم قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ [فُصّلت: 30][6]. وكلمةُ البُشْرى مصدرٌ إمَّا باقٍ

إطلاقُ (البُشرى) على ما يشملُ خيرَي الدُّنيا والآخرة

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/160.
(2) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/342.
(3) السَّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 420.
(4) البقاعي، نظم الدُّرر: 9/154.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/218.
(6) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/342.

على مصدريَّته، والمُبَشَّرُ به محذوفٌ، أي لهمُ البشارةُ فيهما، وإنَّما حُذِفَ للعلم به من آياتٍ أُخرَ كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ﴾ إلى قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [التَّوبة: 20 - 21]، وإمّا مُرادٌ به المبشَّرُ به، وتعريفُه للعهد؛ كقوله سُبحانه: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد: 12][1].

بديعُ مُقابلةِ الحزن بالبُشرى:

إثباتُ البُشرى في الدَّارَين، يُحقِّقُ نفيَ الخوفِ والحُزْنِ

ومُقابلةُ ﴿يَحْزَنُونَ﴾ بـ ﴿ٱلْبُشْرَىٰ﴾، في قوله تعالى: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وقوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ من مُحسِّنات الطِّباق[2]؛ لأنَّ البُشرى يُرادُ بها أمران: أحدُهما بشارةُ المُخْبِرِ، وهذا يدفعُ الخوفَ، والثَّاني سرورُ المُخْبَرِ، وهو يدفعُ حُزنه[3]، فتكونُ البُشرى في الدَّارَين بما يُحقِّقُ نفْيَ الخوف والحُزْنِ كائنًا ما كان[4].

دَلالةُ ذكْرِ ﴿ٱلْبُشْرَىٰ﴾ قبل ذكْرِ ظَرْفِها:

الغرَضُ مِن تولِّي اللهِ أولياءَه بالكرامة والبُشرَى التّعجيلُ بالمسرَّة

قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، قدَّم السِّياقُ ذكرَ ﴿ٱلْبُشْرَىٰ﴾ على ظرفِها، والمعنى: أنَّهم يُبشَّرون بخيراتٍ قبل حصولِها في الدُّنيا، بما يتكرَّرُ مِنَ البشاراتِ الواردةِ في كلام اللهِ تعالى وكلامِ رسوله ﷺ، وفي الآخرة بما يَتَلقَّونه مِنَ الملائكة، وما يسمعونَه مِن أمْرِ اللهِ بهم إلى النَّعيم المقيم، كقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [البقرة: 25][5]، وفي الآخرة بتلقِّي الملائكةِ إيَّاهم مُسلِّمين مُبشِّرين بالفوز والكرامةِ، تعجيلًا

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 6/37.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/219.
(3) ابن القيم، مدارج السَّالكين: 3/151.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 6/143.
(5) ابن عاشور التَّحرير والتَّنوير: 11/219.

لمسرَّتهم وبيانًا لتولّيه لهم[1]، ففي هذا التَّقديم بيانٌ لتلك المِنن العظيمةِ التي امتنَّ الله بها على أوليائه، فجعلَ البُشرياتِ المُسعِدةَ برضا الله ورضوانِه، تتنزَّلُ عليهم، بما يكشفُ لهم منازلَهم عند الله، وما سَيَلقَون في نعيم جنَّاته، مِن كرامة وتكريمٍ، والبُشرياتُ التي يُبَشَّر بها أولياءُ الله في الدُّنيا كثيرةٌ، ففي كُلِّ مرحلة مِن مراحل هذه الرِّحلةِ المُسعِدَةِ، تطلعُ عليهمُ البُشرياتُ التي تَزُفُّهم إلى الجنَّة، كما تُزَفُّ العروسُ في موكبٍ مِن الفرح والبهجةِ[2].

أثرُ الموقعِ النَّحويِّ للجارِّ والمَجرور:

إفـادةُ معنى الـحـالـيَّـةِ في البُشرَى والمُبَشِّرِ

قولُه تعالى: ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾: شِبْهُ الجملة - الجارُّ والمَجرور - في موقع الحالِ مِن ﴿ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾، والعاملُ ما في الخبرِ مِن معنى الاستقرار، أي: لهمُ البُشرى حالَ كونِها في الحياة الدُّنيا، وحالَ كونِها في الآخرة، أي: عاجلةً وآجلةً أو مِنَ الضَّمير المجرور، أي: حالَ كونِهم في الحياة، وحالَ كونِهم في الآخرة، بناءً على أنَّها بشارةٌ ناجزةٌ مقصودةٌ بالذَّات، وقيل: ﴿ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ مصدرٌ، وشِبْهُ الجملة - الجارُّ والمَجرور - مُتَعلّق به[3].

دَلالةُ الاستئناف في: ﴿لَا تَبۡدِيلَ﴾:

تحقيقُ المُبَشَّر به وتعظيمُ شأنِه، مِن بلاغة هذه الجملةِ

في قوله تعالى: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: لا تغييرَ لأقواله، ولا إخلَافَ لمواعيده، ومنها تبشيرُ المؤمنين بالجنَّة[4]، وهذه الجملةُ اعتراضٌ لتحقيق المُبَشَّر به وتعظيم شأنه[5]. فلمَّا ذَكرَ النَّظمُ الكريمُ صفةَ أولياء الله، وشَرَحَ أحوالَهم، قال تعالى: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ والمرادُ أنَّه لا خُلْفَ فيها، والكلمةُ والقولُ سواءٌ، ونظيرُه قولُه: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ﴾ [ق: 29]، وهذا أحَدُ ما يُقَوّي أنَّ المرادَ بالبشرى

(1) البيضاويُّ، أنوار التَّنزيل: 3/118.
(2) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآني للقرآن: 6/1041.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/160، وإسماعيل البروسوي، روح البيان: 4/60.
(4) وهبة الزُّحيلي، التَّفسير المنير: 11/212.
(5) البيضاويُّ، أنوار التَّنزيل: 3/118.

وعدُ الله بالثَّواب والكرامة لمن أطاعه، بقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾[1]، فلا خُلْفَ لمواعيده، وذلك لأنَّ مواعيدَه بكلماتِه[2].

غرضُ جملةِ ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَتِ ٱللَّـهِ﴾:

بـيـانُ كـونِ الكلماتِ مُؤكّدةً للوعْدِ السَّابقِ واللّاحقِ كليْهما

قولُه تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَتِ ٱللَّهِ﴾، أي: لا تغييرَ لأقواله التي مِن جُملتها مواعيدُه الواردةُ بِشارةً للمؤمنين المتَّقين، فتدخُلُ فيها البشاراتُ الواردةُ هاهنا دخولًا أوَّليًّا، ويَثبُتُ امتناعُ الإخلاف فيها لُطفًا وكرَمًا ثبوتًا قطعيًّا[3]، فهي جملةٌ مُبَيِّنَةٌ لمعنى تأكيدِ الوعد الذي تضمَّنه قولُه: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾، وفيها تذكيرٌ لهم بأنَّ ما وعدَهمُ الله به مِنَ البشائر مثلِ النَّصرِ وحسنِ العاقبة أمرٌ ثابتٌ لا يتَخَلَّفُ؛ لأنَّه من كلمات الله[4]، فتلك البُشْرى كانت بكلمات الله، وكلماتُ الله لا تتبدَّلُ[5].

دَلالةُ صيغةِ التَّبديلِ ونفْيِها:

عـمـومُ نـفْـيِ جنْسِ التَّبديلِ والتَّغييرِ، يُؤكِّدُ عظَمةَ أمْرِ الله وخلودَه

كلماتُ الله في قوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَتِ ٱللَّهِ﴾: هي الأقوالُ التي أوحى بها إلى الرَّسول ﷺ في الوعد المُشارِ إليه، ويُؤخَذُ من عموم كلمات الله وعمومِ نفْيِ التَّبديلِ أنَّ كُلَّ ما هو تبديلٌ مَنفيٌّ مِن أصلِه[6]، وأُكِّد بنفي الجنس لأنَّ الجبابرةَ يُنكرون ذلك؛ فـ﴿لَا تَبْدِيلَ﴾ أي بوجه مِنَ الوُجوه[7]، فنفَى النَّظمُ الكريم التَّبديلَ بصيغة التَّبرئةِ الدَّالّةِ على انتفاء جنسِ التَّبديل، والتَّبديلُ: التَّغييرُ والإبطالُ؛ لأنَّ إبطالَ الشَّيءِ يستلزمُ إيجادَ نقيضِه[8].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/277.
(2) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 8/358.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 6/143.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/219.
(5) الجزائريّ، أيسر التَّفاسير: 2/487.
(6) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/220.
(7) البقاعي، نظم الدُّرر: 9/154_ 155.
(8) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/220.

نُكتةُ تقديم ذِكْرِ ﴿ٱلْبُشْرَىٰ﴾:

تقديمُ التَّخليةِ على التَّحليةِ ضمانٌ، وما فيه من تعجيل المَسَرَّة اطمئنانٌ

قولُه تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾، فيه تقديمُ بُشرى الدُّنيا لكونِ التَّخليةِ سابقةً على التَّحليةِ، مع ما فيه من مُراعاة حقِّ المُقابلةِ بين حُسنِ حالِ المؤمنينَ، وسوءِ حالِ المُفترينَ، وتعجيلِ إدخالِ المَسرَّة بتبشير الخلاصِ عن الأهوال[1]؛ وهذه كُلُّها تَظهرُ في مُبشِّرات الدُّنيا تقويةً لقلوب المؤمنين بالنَّصر والتَّمكين، مع تَشوُّفِهم للبُشرى الكُبرى في الآخرة بالرِّضا والنَّعيم المُقيمِ.

دَلالةُ الاعتراضِ والتَّذييلِ:

تأكيدُ الجملةِ السَّابقةِ مع تقريرِ مَضمونِها، من فصيحِ البيانِ

جملةُ ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ مُؤكِّدةٌ لجملة ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾، ومُقرِّرةٌ لمضمونها في تحقيق المُبَشَّر به، وتعظيم شأنه؛ فلذلك فُصِلَت[2]، وهذه الجملةُ اعتراضٌ ثانٍ[3]، وهو مبنيٌّ على جواز تَعدُّدِ الاعتراض، وعلى أنَّه يجوزُ أن يكون في آخر الكلام، ولذا قال العلَّامةُ الطِّيبي: "لو جُعلتِ الأُولى معترضةً، والثَّانيةُ تذييلًا للمعترضِ والمعترَضِ فيه"[4]؛ أي الأولى اعتراضيَّةٌ، والثَّانيةُ تذييليَّةٌ[5].

سِرُّ ورودِ اسمِ الإشارةِ: ﴿ذَٰلِكَ﴾:

بيانُ أنَّ اسمَ الإشارةِ فيه كمالُ تَمييزٍ لما ذُكِرَ مِنْ قبلُ، وزيادةُ تقريرٍ لمعناه

في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، أي: ذلك الأمرُ العالي الرُّتبةِ الَّذي ذُكِرَ مِنَ البُشرى بسعادة الدَّارَين هو الفوز العظيمُ الَّذي لا يَعلوه فوزٌ، والَّذي لا يفوقُه نجاحٌ أو فضلٌ[6]؛ وإنَّما هو ثمرةُ الإيمان الحقِّ، والتَّقوى العامَّةِ في حقوق اللّٰه وحُقوق الخَلْقِ[7]؛ فاسمُ الإشارةِ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ يعودُ إلى ما ذُكر

(1) أبو السَّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/160، والبروسويّ، روح البيان: 4/60.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/220.
(3) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 3/118.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 6/144.
(5) الهرريّ، حدائق الرَّوح والرّيحان: 12/293.
(6) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/155، وطنطاوي، التَّفسير الوسيط: 7/96.
(7) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/417.

مِنَ البُشرى في الدَّارَين، أو لانتفاء الخوفِ والحُزنِ عنهم، مع ما بُشِّروا به[1]. والظَّاهرُ أنَّ الإشارة بذلك إلى المذكورِ مِن مَضمون الجُملِ الثَّلاثِ المُتقدِّمةِ، واختير اسم الإشارة؛ لأنَّه أجمعُ لِما ذُكرَ، وفيه كمالُ تمييزٍ له لزيادة تقرير معناه[2]، فجاء اسمُ الإشارةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الَّذي يُفيدُ البُعدَ، إشارةً إلى بُعدِ منزلةِ المُشارِ إليه، وسُموِّ رُتْبته في الكمال.

دَلالةُ ضَميرِ الفصْلِ بعدَ اسمِ الإشارةِ:

الإشـارةُ تأكيدٌ لـلـبُـشْـرى، وإفـادةٌ لحقيقة نَـيـلِـهـم لـلـفـوز الحقيقيِّ

في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ ذُكِرَ ضميرُ الفصلِ بعد اسم الإشارةِ لزيادة التَّأكيدِ ولإفادة القَصرِ، أي: هو الفوز العظيمُ لا غيرُه ممَّا يتقلَّب فيه المشركون في الحياة الدُّنيا مِن رزقٍ ومَنَعَة وقوَّة، لأنَّ ذلك لا يُعَدُّ فوزًا؛ إذ عاقبته المذلَّةُ والإهانةُ في الدُّنيا، وبعدَه العذابُ الخالدُ في الآخرة، كما أشار إليه قولُه تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧﴾ [آل عمران: 196 _ 197][3].

سرُّ تَوالي المُؤكِّداتِ في وصْفِ ﴿ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾:

تحـقـيـقُ كـوْنِ الـبُـشـرَى في نـفـسِـهـا فـوزًا عظيمًا

ذُيِّلتِ الآيةُ الكريمةُ بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ تذييلًا جامعًا، فاسمُ الإشارةِ جامعٌ لصفاتِ تلك ﴿ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾، وأُكِّدَ بضميرِ الفَصلِ، وبالجُملةِ الاسميَّةِ، والوَصفِ بـ ﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾ المفيدِ للأهميَّةِ، بما يجعل ذلكَ كأنَّه نَفسُ الفوزِ العظيم[4].

دَلالةُ وصْفِ ﴿ٱلۡفَوۡزُ﴾ بصفةِ ﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾ وحصْرِه عليه:

مقدارُ هذا الفوزِ الـلَّائـقِ بأولياءِ الله الصَّالحين، كـرمُ الـعـطـاءِ الثَّمينِ

جاء وصْفُ الفوز بأنّه عظيمٌ، والجنَّةُ دارُ الفائزين، والفوزُ يجمعُ السَّلامةَ مِنَ الشَّرِّ، والظَّفَرَ بالخَيرِ، ومَن فاز بالجنَّة وما فيها مِنَ

(1) ابن عطية، المُحَرَّرُ الوجيز: 3/129، وابن عجيبة، البحر المديد: 3/172.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/220.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/220.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/607 - 610.

النَّعيم المُقيم الَّذي منه رضوانُ الرَّحمن ورؤيتُه، فقد فاز بأعلى ما يطمحُ إليه إنسانٌ مِن جزاءٍ، وحقَّق أعظمَ فوزٍ يخطر ببالٍ؛ لأنَّه ظَفِر بخلودٍ أبديٍّ فيما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعَت، ولا خطرَ على قلب بشرٍ، فلا يُكدِّره حزنٌ، ولا يُنغِّصه موتٌ، فحقيقٌ أن يُسمَّى هذا الفوزُ فوزًا عظيمًا، وكبيرًا، ومُبينًا، وأن يُوصفَ أصحابُه بأنَّهم فائزون ومُفلحون، فكيف إذا جَمَعَ مع هذا بُشْرَيات الدُّنيا مِن تثبيت قلوبِهم على الدِّين، وتقويةِ إلهام الحقِّ والخيرِ فيهم، والنَّصرِ على الأعداء، واستخلافِهم في الأرض، وبحسن العاقبة في كلِّ أمر[1]، فقولُه: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ اشتمَلَ على النَّجاةِ مِن كلِّ محذورٍ، والظَّفَرِ بكلِّ مَطلوبٍ مَحبوبٍ، وحُصِرَ الفَوزُ فيه؛ لأنَّه لا فوزَ لمن لا إيمان يَمنعُهم، ولا تقوى تَردعُهم[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

البِشارةُ والخبَر:

البِشارةُ: الإخبار بما يُسرُّ به المُخبرُ به، إذا كان سابقًا لكلِّ خبرٍ سواه[3]، والأمرُ الذي بشَّرك به يسمَّى: بِشارةً، وسُمِّيت بذلك مِنَ البِشر، وهو السُّرورُ؛ لأنَّها تُظهرُ طلاقةَ وجه الإنسان[4]، وهم يتباشرون بذلك الأمرِ، أي: يُبشِّرُ بعضُهم بعضًا، والبِشارةُ إذا أُطلقت فهي للبشارة بخيرٍ[5]، هذا هو الأصلُ، ويجوزُ استعمالُها مقيَّدةً في الشَّرّ، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١﴾ [آل عمران: 21]، وقد ورد في القرآن في مواضعَ كثيرةٍ، كقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ١٠١﴾ [الصّافات: 101] وقال سبحانه: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ

البشارةُ إخبارُ المُخبَرِ به بما يسرُّه، مع كونِه سابقًا لكلِّ خبرٍ سواه

(1) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/417، والمراغي، تفسير المراغي: 11/130.
(2) السّعدي، تيسير الكريم المنّان، ص: 368.
(3) العسكريُّ، معجم الفروق اللُّغويَّة، ص: 100.
(4) الرّاغب، المفردات: (بشر)، وابن الأثير، النِّهاية: 1/129.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بشر).

إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ [هود: 71] بخلاف الخبرِ فإنّه يكونُ للأمرين حالَ الإطلاق، والبشارةُ تكونُ مِنَ المُخبِرِ الأوَّلِ[1] بخلاف الخبرِ، فإنَّه قد يكون مِنَ الأوَّل والثَّاني والثَّالث وكُلُّهم مُخبِرون، أمَّا البشارةُ فهي مِنَ المُخبِرِ الأوَّل، فإذا جاء واحد وكرَّرها فلا تكونُ بشارةً، وكذلك الخبرُ قد يكون صادقًا أو كاذبًا، أمَّا البشارةُ فإنَّها تختصُّ بالخبر الصَّادقِ السَّارِّ غالبًا.

(1) النَّوويّ، تحرير ألفاظ التَّنبيه، ص: 267، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 11/184.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 19 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-16-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 19 : المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-16-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6365726 بتاريخ 2024/02/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»